مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــــــــــــــ رقم ISSN 2661- 7307
المجلد 2 . العدد 2 . السنة 2020 ص 116 - 127

الأغواط، التسمية بين طبيعة المنطقة واسم القبيلة دراسة مقاربة

Laghouat: Exploring the Toponym Between Regional Geography and Tribal Identity—A Comparative Study

د. هوارية بكاي

جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان–: *bekkayehouaria@hotmail.fr*

الملخص:

نحاول في بحثنا هذا والموسوم بـ: الأغواط، أصل التسمية بين طبيعة المنطقة واسم القبيلة دراسة مقاربة الوصول إلى أصل تسمية الأغواط بهذا الاسم من خلال المقاربة بين مختلف الآراء سواء تلك التي ترجعها إلى قبيلة الأغواط البربرية أو تلك التي ترجعها إلى طبيعة المنطقة المحاطة بالبساتين، مع الإشارة إلى مختلف الآراء الأخرى غير هذين الرأيين.

الكلمات المفتاحية: الأغواط _ القبيلة _ طبيعة المنطقة _ البساتين .

Summary :

In this research ,titled as « Laghouat Etymology between the name of the region and the name of the tribe– A convergence study- », wetry to arrive to the naming origin of Laghouat by this name through the convergence between the various views or opinions. Whether the meaning of the names due to the Berber tribe of Laghouat or to the nature of the region which is surrounded by orchards ,pointing to other different opinions beyond these two views.

Key words :*Laghouat – the tribe–the nature of the region – the orchards.*

 *https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل

مـــقدمـــة

للمدن والمناطق الجزائرية أسماء ذات دلالة، فمن الأسماء ما هو قديم تم تحريف نطقه مثل اسم مدينة جيجل التي كانت تحمل اسم اجيجلي، ورشقون التي كانت تحمل اسم ارشكول. ومنها ما له معنى المنطقة مثل تلمسان التي تجمع أغلب المصادر على أن أصله تلم سين، ومعناه أن المدينة تجمع بن التل والصحراء. ومنه ما يحمل اسم قبيلة مثل بلدية الأرباع من مدينة الأغواط، ومنها ما يحمل اسم شخصية وطنية تاريخية مثل مدن: الأمير عبد القادر من ولاية عين تموشنت، وابن باديس من ولاية سيدي بلعباس، وتعتبر الاغواط من المدن الجزائرية التي اختلف الباحثون في أصل تسميتها، فمنهم من ينسب اسم المدينة لقبيلة الأغواط البربرية، ومنهم من ينسبها لطبيعة المنطقة ذات البساتين التي يطلق على الواحد منها في الكثير من المناطق الجنوبية الجزائرية، وخاصة الجنوبية الشرقية اسم الغوط، وجمعها الأغواط. وبين الطرحين لم نجد لدى الباحثين اجابة قطعية أو طرحا غالبا. وحول هذا الموضوع تتمحور اشكالية بحثنا الموسوم بـ: " الأغواط، التسمية بين طبيعة المنطقة واسم القبيلة دراسة مقاربة " والذي نحاول من خلاله مقاربة الأراء حول أصل تسمية مدينة الأغواط.

1- التعريف بمدنة الأغواط. يعرف الحاج بن الدين الأغواطي[1] الأغواط قائلا: " إن الأغواط بلدة كبيرة، وهي محاطة بصور وحولها تحصينات ولها أربعة أبواب ... وهي تنتج

1 – لم يعطنا محقق كتاب رحلة الأغواطي ترجمة وافية عن مؤلف الكتاب واكتفى بالقول أنه من عائلة ابن الدين التي ما زالت موجودة في منطقة الأغواط، وأنه كتب عملا استحوذ عليه، وخاصة شيخ بلدية مدينة الجزائر .ينظر: الحاج ابن الدين الغواطي، رحلة الأغواطي، ضمن مجموع رحلات، تحقيق أبي القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، مقدمة المحقق، ص 80، 81.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل

الفواكه بكثرة، ومن بينها التمر، والتين والعنب، والسفرجل، والرمان، والأجاص. ويقسم وادي أمزي الأغواط إلى شطرين ويجري وسطها .وهذا الوادي مشهور في الناحية ... وتوجد شرقي الأغواط آثار بلدة قديمة كان أمراؤها مسيحيين .وإلى هذه الأيام يرى المشاهد كثيرا من النقوش في هذه الآثار ... ولا تقترب العقارب ولا الطاعون منها لأنها مبنية في موقع مفضل .وهذه الناحية كثيرة الجبال، وفي الجهة الشمالية منها جبل صخري ضخم."[2]

تقع ولاية الأغواط على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي، إلى الجنوب من الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بحوالي أربعمائة كيلومتر، وموقها هذا – تقريبا – يتوسط الجزائر، إذ يربط شمال البلاد بجنوبها، وشرقها بغربها، تحدها ولاية الجلفة من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية، وولاية تيارت من الجهة الشمالية الغربية، وولاية البيض من الجهة الغربية، وولاية غرداية من الجهة الجنوبية. انبثقت عن التنظيم الاداري لسنة 1974 م، وكانت قبله تابعة لولاية رقلة، وفي سنة 1985 م انفصلت عنها ولاية غرداية، تضم عشر دوائر أهما الأغواط عاصمة الولاية، آفلو، حاسي الرمل، وعين ماضي . كما تضم اربعة وعشرين بلدية.

تعرضت الأغواط لجميع التيارات البشرية التي تعرضت إليها الجزائر وبلاد المغرب عامة، يقول في ذلك أحمد توفيق المدني: " الأغواط من أبدع مدن الجنوب، واقعة على وادي مزي، ترتفع 792 مترا عن البحر ... كانت الأغواط مؤسسة قبل قدوم الهلاليين، ثم استوطنها الأحلاف وأولاد سرين .وكانت إبان الأتراك تدفع اتاوتها للجزائر بانتظام

2 – رحلة الأغواطي ، ص 87، 88.

.فلما وقع الاحتلال استولى عليها الجنيرال ماراي مونج سنة 1844[3] بدون مقاومة تذكر، إلا أنها ثارت بعد ذلك في وجه السلطة الفرنسية، فهاجمها الجنيرال بيليسي يوم 4 ديسمبر 1854 م واشتعلت بين الفريقين نيران معركة حامية كانت نتيجتها تحطيم الأغواط ومعاقبتها بكل صرامة .والأغواط اليوم مركز تجاري عظيم ويصنع بها الحرير والصوف بصفة متقنة ..." [4]

فقد استوطن الانسان منطقة الأغواط منذ العصور القديمة، وهذا ما أشار إليه الأغواطي في رحلته حين قال: " وتوجد شرقي الأغواط آثار بلدة قديمة كان أمراؤها مسيحيين، وإلى هذه الأيام (حوالي 1829 م) يرى المشاهد كثيرا من النقوش في هذه الآثار "[5].ولعله هنا يقصد الرومان كما ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله. [6]

ومن أهم المدن التابعة للأغواط والتي ذكرها المؤرخون مدينة عين ماضي، ومدينة تاجموت أو تجمعوت كما ذكر الأغواطي في قوله: " وعلى مسيرة يوم شمال الأغواط تقع قرية تجمعوت .وينقسم سكان هذه القرية إلى فريقين، وليس لهم رئيس أو حاكم، وهم

3 – لعل الكاتب يقصد احتلال الفرنسيين لمدينة دون قتال بعد اقدام الجنيرال ماري مونج (Marye Monge) على تعين أحمد بن سالم خليفة على على الأغواط ونواحيه، بعد استنجاده بالفرنسيين على اثر عزل الأمير عبد القادر له .حيث اعتبر مونج تعين بن سالم في هذا المنصب يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط. ينظر: , Louis Rinn Marabouts et Khouans, Adolphe Jourdan libraire éditeur, Alger, 1884, p p 426 – 428. ؛ابراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 125.

4 – أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2010، ص 243.

5 – رحلة الأغواطي ، ص 87.

6 – نفس المصدر، الصفحة نفسها، هامش 2.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل

يتحاربون فيما بينهم كما يفعل أهل الأغواط .وبيوتهم مبنية بالحجر والطين .وعلى الجهة الشمالية من تجمعوت جبل عال جدا يسمى جبل عمور، وهناك أيضا جبل من الملح بالقرب من جبل عمور." [7]

أما عين ماضي فتقع إلى غربي تجمعوت، وهي كما ذكر الأغواطي: "محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس، ولها بابان عظيمان، ولحاكمها الذي يسمى ولد التيجيني (يقصد التيجاني) حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود." [8]

1- الأغواط، أصل التسمية.

من خلال دراستنا للمصادر العربية يتبن لنا أن منطقة الأغواط كانت معروفة بهذا الاسم منذ القدم أو على الأقل قبل القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي، إذ يذكرها مؤرخ الدولة العبيدية أبي عبد الله الصنهاجي في كتابه حين يتحدث عن اقامة أحد رسل المنصور بالله الفاطمي بها، وهو محمد بن خزر الزناتي [9]

7 – رحلة الأغواطي، ص 88.

8 – نفسه، الصفحة نفسها.

9 – ينطر: أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق أحمد جلول بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 40، 41.

أما في العبر فورد اسم الأغواط بثلاث صيغ، الأولى " لغواط ' بحذف الألف، [10] الثانية "الأغواط" معرفة كما هو اسم المدينة اليوم، [11] والثالثة " لقواط " بحذف الألف وتغيير العين بالقاف. [12]

ويعرف ابن خلدون قبيلة الأغواط بقوله: " وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا، في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصورهم إليه لتحصيل المرافق منه... "[13]

كما أورد مولاي بلحميسي نصا للرحالة عبد الله بن محمد العياشي يذكر فيه مدينة الأغواط ويصفها (حوالي سنة 1073 هـ/ 1651 م) بقوله: "... نزلنا بالأغواط قبل ظهر يوم الأحد السادس عشر من رمضان ... فلم يخرج أحد منهم إلى الركب، وكانوا يدلون لنا الزرع من فوق الصور..."[14] كما وصفها الدرعي ابن ناصر في كتابه الرحلة

10 – عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 4، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2011، ص 2707.

11 – نفس المصدر، ص 2726.

12 – نفسه، ص 2728.

13 – عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،ص 2728.

14 – مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 26 .

الناصرية والذي زارها مع بدايات القرن الثامن عشر (حوالي 1707م) بأنها بلدة واسعة، ذات أراض فلاحية واسعة، وبساتين متنوعة الثمار. [15]

أما المصادر الفرنسية وعلى رأسها جون ميليا Millia (J) صاحب كتاب الأغواط أو المدينة المحاطة بالبساتين (Lagouat ou Les maisons entourées de jardins) وأوديت بيتي Petit (O) صاحبة كتاب محاولة حول التاريخ الاجتماعي لمدينة الأغواط Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat)) فانها تكاد تجمع أن اسم الأغواط مشتق من كلمة غوط أو غوطة، وجمعها أغواط أو الأغواط .[16] وهذا الطرح يتبناه أيضا سكان المدينة بمختلف مشاربهم أي أنهم يرون أن الأغواط في أصلها جمع غوطة . [17] كما نجد الشاعر الكبير مفدي زكريا يذهب إلى نفس الرأي حين يتحدث عن مدينة الأغواط في الياذته حيث يقول:

أبا الغوطتين يباهي الشآم *** وأغواطنا بالشآم استخفا
كأن حدائقه العابقات *** نوافح مسك تصوغن عرفا[18]

15 – بشير طلحة، البنى التقليدية وعلاقتها بالتقسيم الاجتماعي للمجال الحضري "دراسة حالة مدينة الأغواط"، مذكرة ماجستير، ةقسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 93.

16 – (O) Petit ,Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat ,collège de Paris ,1976 ,p 20.

17 – بشير طلحة، المرجع السابق، ص 94

18 – يقصد الشاعر مفدي زكريا بالشآم غوطة الشام، أو سوريا الشهيرة بكثرة بساتينها وتنوع فاكهتها ومنتوجاتها الزراعية.

بينما يرى دوران دولاكر أحد المهتمين بتاريخ المدينة غداة الاحتلال الفرنسي فإنه يرجع أصل تسميتها إلى طبيعة الجبال المحيطة بالمدينة، والتي تسمى الأغواط باللهجة البربرية ومعناها الجبال المسننة،[19] وقد أخبرنا بعض العارفين بالمنطقة أن هذه الجبال موجودة فعلا غرب المدينة وهي جبال الكاف لحمر.

من خلال دراستنا لأهم المصادر العربية والفرنسية التي تناولت اسم مدينة الأغواط بالذكر أو الدراسة نصل إلى أن المصادر العربية وخاصة عبد الرحمن بن خلدون يرجع أصل التسمية إلى قبيلة الأغواط أو بني الأغواط البربرية، خاصة حين يحدد موقعها بين منطقة الزاب (بسكرة وضواحيها)، وجبل راشد (جبل عمور)، وهو موقع مدينة الأغواط اليوم تقريبا " وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا، في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر..." [20] . كما أن المدينة كانت معروفة بهذا الاسم قبل ابن خلدون، إذ ذكرها أبو عبد الله الصنهاجي الذي عاش خلال القرن الرابع الهجري ،العاشر ميلادي حين ذكر اقامة محمد بن خزر الزناتي بها، وطلب من المنصور بالله الفاطمي أن يرسل له الخطة وأن يضرب العملة باسمه، أي أن الأغواط على هذا العهد كانت تابعة للعبيديين[21].

وأما المصادر التي تحدثت عن البساتين الموجودة في مدينة الأغواط، وشساعة مساحتها، وتنوع محاصيلها، مثلما ذكره العياشي في رحلته والتي نستدل عليها بقوله: "...

19 - (D) Lacre ,Visite a Laghouat ,Alger ,1924 ,p 13.

20 - العبر، ص 2728.

21 - أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، ص 40، 41.

وكانوا يدلون لنا الزرع من فوق الصور..."[22]، وذكره ابن ناصر الدرعي في قوله بأنها بلدة واسعة، ذات أراض فلاحية واسعة، وبساتين متنوعة الثمار.[23] والتي يرجع الفرنسيون مثل جون ميليا وأوديت أصل تسمية المدينة إليها على اعتبار أن البساتين يطلق عليها في اللغة العربية الغوط أو الغوطة، وجمعها أغواط أو غوطات، فيمكن الأخذ بهذا الرأي على اعتبار أن مدينة الأغواط تقع في منطقة شبه جافة لاتتجاوز كمية التساقط بها في أحسن الأحوال 400 ملم سنويا، وشبه صحراوية تقع ما وراء الأطلس الصحراوي، وقد أطلقت عليها هذه التسمية لتميزها عن المناطق المجاورة لها، أو المشابه لها في المناخ، والتضاريس بكثرة بساتينها وزروعها.

لكن في هذه الحالة نجد أن منطقة أن منطقة توقرت والمنطقة المحصورة مابين بسكرة ورقلة كانت أكثر غرسا وماء من الأغواط . ففي الحين الذي وصف فيه ابن خلدون منطقة الأغواط بأنها في مكان قفر. إذ يقول: "... ولهم –يقصد قبائل الأغواط– هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر ..."[24] . نجد يصف تلك المناطق –توقرت والمنطقة المحصورة مابين بسكرة ورقلة– بقوله: "... ونزل الكثير منهم –يقصد قبائل زناتة– ما بين قصور الزاب ووركلا، فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيفها النخيل، وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء ... وأكبر هذه الأمصار تسمى تقرت، مصر مستبحر العمران، بدوي

22 – مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 26 .

23 – بشير طلحة،المرجع السابق، ص 93.

24 – العبر، ص 2728.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل

الأحوال، كثير المياه والنخل ... "[25]. فكان الأجدر في هذه الحالة أن تطلق تسمية منطقة البساتين أو الأغواط أو الغوطات على هذه المنطقة خاصة وأنها منطقة صحراوية خالصة، زيادة على أن أهل هذه المناطق ومن خلال مجاستنا لهم يطلقون على بساتينهم تسمية الغوط.

كما أن ابن الدين الأغواطي في رحلته عرف لنا الأغواط وما حولها من المدن[26] ولم يذكر أصل التسمية، لاهو ولا من سبقه من الرحالة مثل العياشي وابن ناصر الدرعي. ولعل هذا مرده لكون أن هذا الإشكال لم يكن مطروحا في زمنه. وهذا ما يوضح لنا جليا أنا اشكالية أصل التسمية ظهر مع دخول الفرنسيين للمنطقة، وذلك لحاجة في أنفسهم.

كما أن في المنطقة أماكن وأسماء لا زالت تحافظ على تسمياتها البربرية مثل تاجموت أو تاجمعوت، تاجرونة، تيزقرارين[27]، تيمجور (نوع من التمر) [28] وغيرها.

أما قول مفدي زكريا ففي نظرنا لايعدو أن يكون وصفا لجنات مدينة الأغواط وبساتينها، فهي فعلا كما تبدو لزائرها مدينة حدائقها جميلة غناء تجلب الناظر إليها وتسحره بجمالها . فهو في بيتيه هاتين لم يثبت رأيا حول أصل التسمية ولم ينفه.

25 – نفس المصدر، ص 2727.

26 – رحلة الأغواطي ، ص 87 وما بعدها.

27 – تيزقرارين اسم الجبل الذي تتموضع فوقه مدينة الأغواط. ينظر: بشير طلحة،المرجع السابق، ص 95.

28 – نفس المرجع، ص 95.

خـــاتـــمـــــة

إذا ومن خلال ماسبق نخلص إلى نتيجة مفادها أن مدينة الأغواط قد استوطنها الإنسان منذ العصور القديمة، وكانت على ضفاف وادي أمزي، وأن البربر أول من استوطنها وخاصة قبائل الأغواط التي سميت المنطقة نسبة إليهم، والتي لم تتغير رغم تعاقب مختلف التيارات البشرية عليها.

كما أن عبد الرحمن ابن خلدون لما ذكرها أكد أنها كانت في منعة لأنها متوغلة في القفر، وبالتالي لم تكن بها بساتين ولا زروع كثيرة. وأن القول بأنها أخذت تسميتها من كثرة بساتينها وزروعها إنما كان بعد وصول الفرنسيين إليها، والمستعمريين مهما بلغت الموضوعية منهم مبلغا فهم دائما في حدود خدمة مصالحهم لا تتجاوزها .ولعلهم باثارتهم لهذه النقطة بالذات والمتعلقة بأصل التسمية أرادوا إثارة الفتنة بين عناصر المجتمع الأغواطي المشكل أساسا من القبائل البربرية، والقبائل العربية التي ذابت في كيان واحد هو الجزائر المسلمة ذات اللسان العربي. خاصة وأنهم كانوا يعلمون علم اليقين بأن القبائل الزناتية، وخاصة قبائل الأغواط، وقبائل بني راشد غير بعيد عنهم أول من استوطن المنطقة، كما كانوا على علم بالخلافات والصراع الذي كان قائما بين الأحلاف[29] وأولاد سرغين،[30]

29 – تتشكل الأحلاف من قبائل وافدة على منطقة الأغواط وهي: أولاد خريق أو الخرارقة من فرجيوة بقسنطينة، أولاد عبد الرحمن الفيقيقي أو المغاربة من منطقة تافيلالت المغربية، وأولاد عبد وأولاد سالم من قورارة .ينظر: بشير طلحة، المرجع السابق، ص 117.

30 – يتشكل أولاد سرغين أساسا من قبائل بربرية، وهي جماني ولبدارة من لغواط كسال، وأولاد سقال, وفليجات القادمة من الجنوب التونسي .ينظر نفس المرجع والصفحة.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل

من خلال دراستهم للمجتمع الأغواطي وخاصة ما جاء في رحلة ابن الدين الأغواطي[31] والتي ترجمها الفرنسيون عشية دخولهم إلى الجزائر، والتي جاء فيها: "... أما السكان فهم فريقان: فريق يسمى الأحلاف، وفريق يسمى أولاد سرقين .وهم غالبا في حالة حرب بينهم .وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة." [32]

31 – ذكر أبو القاسم سعد الله أنه ونظر لأهمية رحلة الأغواطي سارع الفرنسيون إلى ترجمها، وأن دافيزاك D'Avezac هو من قام بترجمتها عن الإنجليزية، قرأ ترجمتها على أعضاء الجمعية الجغرافية في باريس سنة 1833 م، ثم نشرها في مجلة الرحلات الجديدة .وقد قام بنشرها بتعاليق هامة وتذييلات، في الحين لم يعلق على الجزء الخاص بالدرعية من السعودية .ينظر: رحلة الأغواطي، المصدر السابق، ص 83.

32 – نفس المصدر، ص 88.

 https://doi.org/10.34118/jhc.v2i2.4792 *المؤلف المرسل